



دراسة ديوان كلاك نشأت

« انشودة الطريق »

بقلم الدكتور أحمد صيكة

تحتاج الى الفنان لواعي ليقف عندها ويحسن النهل منها ..

ففي شعر نشأت كما في شعر « لوركا » من اساطير الوطن اساطير ، ومن تعابيره تعابير ، ومن ملامحه ملامح ، ومن اريجه اريج . كل ذلك مع محاوله مخلصه للاخذ بالاسلوب الشعري العالمي ، اندي ينأى عن الخطايبة والتعابير المباشرة ، ويعتمد على الايحاء والتعبير بالصور المتأزرة ، كما يستغل الاسطورة ويجنح الى الفص ، ويحتم ان يكون العمل الشعري بناء حيا ذا وحدة عضويه متفاعله متكاملة نامية ..

والحق ان هذا الاسلوب المتسم بمحلية اللون وعالمية الاتجاه ، هو غاية ما يصبو اليه شعرنا الحديث ، بل اسماى ماتطلع اليه كل فنونا . وذلك لان هذا الاسلوب ، هو الذي سيجعل لشعرنا وسائر فنوننا طابعا مميزا اولاً ، ثم هو الذي سندخل منه الى المجال العالمي ثانياً .

وهكذا يقارب نشأت « لوركا » في الاصاله والصدق ومحليه اللون ومحاولة السير في الاتجاه الفني العالمي .. وهكذا ايضا يعطى اكثر شعر نشأت كما يعطى شعير « لوركا » صورة محببه للشاعر وشعبه . فكما نرى في شعر « لوركا » صورة حية محببة للانذلس ، نجد كذلك في « انشودة الطريق » صورة حية محببة لبلدنا الطيب . تلك الصورة التي تجمع لوانها من غيرة الارض وزرقة السماء ، من صفرة القمح وخضرة البرسيم ، من بيضاى القطن وحمرة التمر ، وتتألف خطوطها من معارك التسل الكبير وفلسطين والقنال ، كما تتألف قسماتها من البيت الآمن والحقل الوادع والمصنع الهادر ، ويشيع في جنباتها الحب والرضى والايمان ، ويعطر ارجاءها عطر البرتقال وعبير الليمون ودم الشهداء ..

وهذه ابيات من قصيدة « يابلادي » ربما صلحت شاهدا على هذه السمة في شعر نشأت . يقول الشاعر :

يا حقول القمح والقطن المديده
يا مهاد الحسن يا ارض الكفاح
والبطولات الجيده
والفكاهات الهنيه
ترك المرع والبدر المثل
والسواقي والنخيل
وابتسامات الصبايا
والاكف المتعبات
واناشيد الحصاد

لقد تذكرت شاعر اسبانيا العظيم « جارثيا لوركا » وانا اقرأ ديوان شاعرنا النابه كمال نشأت ، بل ان احساسى « بلوركا » وانا اعيش مع نشأت في « انشودة الطريق » لم يكن تذكرا عابرا ، وانما كان الحاحا ملازما ، حملني حملا على ان افكر فيما قد يكون بين الشاعرين من اوجه تشبه .. وبعد استرجاع لما اعرف من شعر « لوركا » وما بين يدي من شعر نشأت خرجت بنتيجة ارجو ان تكون على حظ من الصواب . تلك النتيجة هي ان اكثر شعر نشأت بعد تطوره في « انشودة الطريق » يشبه في بعض ملامحه شعر « لوركا » ، فهذا وذاك شعر لا يعتمد على المذاهب الادبية ، بقدر ما يعتمد على الاصاله الشعريه . وهذا وذاك شعر لا يجري وراء اتجاه غربي او شرقي ، بقدر ما يتجه الى الصدق الفني . ثم هو بعد الاصاله والصدق يتسم بالطابع المحلي الحبيب ، ولا يجانب الاتجاه العالمي الصحيح .

فنحن نجد في اكثر شعر نشأت مانجده في شعير « لوركا » من بعد عن التحليق مع الرومانسية الحاله ، التي تهرب وتنطوي ، وتحزن وتنوح ، ثم لاتخلف اخر الامر الا موجات احلام تتحطم على صخرة الواقع ، بل لا تعطي من الزاد الفني الا فقاقيع ان سرت العين فهي لانسروي الظما .

كذلك نجد في اكثر شعر نشأت مانجده في شعر « لوركا » من مجانبه للواقعية الهابطة ، التي لاتلتصق الا بالجانب التائه من الحياه ، ولا تعنى الا بالمنفر المفرز من الاحياء ، ثم لانقدم بعد ذلك قيما جمالية ما ، بدعوى ان ذلك من الحلى الزائفة ، او من الترف اللاهي !

وعلى حين نجد اكثر شعر نشأت يجانب الرومانسية الحاله والواقعية الهابطة ، نجده يتناول حياه الشعير وحياه شعبه في اسلوب فني رائع ، لا يجمع فيشيد قصورا على السحب ، ولا يهبط فيمزج النور بالطين ، وانما يصوغ التجارب الحيه في اطار رائع فيه محليه اللون وعالمية الاتجاه !!

فكمال نشأت في انشودة الطريق « كلوركا » يتحدث عن نفسه وشعبه ، في حياته الوادعة والمكافحه ، في امله وفي المله ، في بيته وفي حقله ، في قريته وفي مدينته ، في هدهدته للاطفال ومصارعته للطفاه ..

وكمال نشأت في انشودة الطريق « كلوركا » يؤثر الاسلوب الفني الذي يعتمد على ينابيع غنيه من الجمال المحلي ، تلك الينابيع التي يتفجر بها الوطن الحبيب ، والتي

والنجيمات العرايا
والمياه العافيات
وشميم « التمر حنه »
والحكايات المسنه
في المصاطب
والنسيمات اللطاف
والنفوس المطمئنه
تشكر الله على العيش الكفاف
وهي في اخصب جنه
كلها ماجت على صدري هتاف

قصائده في القالب المتحرر ، كما صاغ البعض الاخر في
القالب المحافظ ، وهو في الجالين شاعر ممتاز ، يجيد
الصياغة في القالين جميعا . . ومن هنا يعتبر ديوانه
وثيقة حية يعتز بها من ينافحون عن الشعر الحر ، كما
يتمسك بها من يدافعون عن الشعر المقيد . على ان هذه
الوثيقة تؤكد بطلان دعوى من يعيون على الشعر ان يكون
في قالب الخليل بن احمد ، كما تؤكد بطلان دعوى من
يعترضون على الشعر ان يجيء فيما يجد من اوزان .

وقد مضت بعض النماذج الناجحة من شعر نشأت في
القالب الحر ، وهذا نموذج من شعره في القالب المحافظ ،
يقول في قصيدته « افراح الوحدة »

من دمشق الزهراء من قلب مصر
نبض اللحن يعربيا وطــــاراً
راح فوق الربوع يرتجل البشري
بفجر بدا وليل تواري
فاذا العرب أمة تعبر التاريخ
صفا موحدا قهــــاراً

تحية عاطرة للشاعر كمال نشأت ، وتهنئة صادقة بديوانه
الجديد ، الذي اضاف الى اغانيها واناشيدينا انشودة
حلوة . . « انشودة الطريق »

احمد هيكل

استاذ الادب العربي المساعد بكلية دار العلوم

صدر حديثاً

أَيَّاشِ رِيفِيَّةٍ

بقلم عبد الباسط الصوفي

قصائد رائعة للفقيه الذي

كان نسيج وحده في عالم الشعر

دار الآداب

الثن ٣٠٠ ج.١ - ٣٧٥ ق.س

فاذا تركنا هذه المقارنة السريعة بين « لوركا » ونشأت،
وفرغنا الى « انشودة الطريق » لنسجل ابرز سماته ، وجدنا
ان هذا الديوان يسجل عده ظواهر ، بعضها يتعلق بالشاعر
وبعضها يتصل بالشعر . . اما بالنسبة للشاعر ، فالديوان
يسجل اولاً وصول مؤلفه الى نقطة التحول من مرحلة
التردد بين المحافظة والرومانسية ، الى مرحلة يمكن ان
نسميها « بالواقعية الجمالية » ونعني بها هذا الاتجاه الذي
يجمع بين واقعيه المضمون وجمالية التعبير ، مع رعايته
ملا بد منه من محلية اللون وعالمية الاسلوب .

والديوان يسجل ثانياً ان مؤلفه يتحرك ببراعة في اربع
دوائر ، يوشك ان يزيل بينها الحدود ، ويجعلها بفنيتها دائره
واحدة . وهذه الدوائر هي : الاسرة والقرية والوطن
والانسانية . . فهذه الدوائر تبدأ احياناً في « انشودة
الطريق » من اصغرها وهي الاسرة ، ثم تتسع رويداً رويداً
حتى تنتهي الى كبرها وهي الانسانية . وهكذا تبدو الاسرة
والقرية والوطن والعالم كشيء واحد عند الشاعر المجيد
الواعي ، تماماً كما « تندخ دائرة في لجة الماء يلقي فيه
بالحجر » فيما يقول ابن الرومي في بيته المشهور . .

وربما كانت قصيدة نشأت « ناهت نهاد » من اوضح
الامثلة على تلك السمة في شعره ، فهو يقول في بعض
اجزائها :

نامت نهاد
فجلست قرب سريرها
ارعى الحنين
اتنسم الامال من انفاسها
وارى السنين
تمضي فامعن في الخيال
واشيم كونا في غد فيه الانام
يمشون فوق دروبه
ويد السلام
والحب تهدى السائرين
فهتفت : مرحى يانهاد
درب الغد المرجو جف به القتاد

اما بالنسبة للشعر ، فالديوان يسجل ان قالباً عروضياً
بذاته ليس امراً اساسياً في اعطاء العمل الشعري قيمته
كشعر . فمن الممكن ان يكون العمل الشعري الناجح
مصوغاً في القالب المحافظ ، ومن الممكن ان يكون مصوغاً
في القالب الحر ، مادام وراء هذا القالب او ذاك شاعر
اصيل صادق يحسن التعبير .

فكمال نشأت في « انشودة الطريق » قد صاغ بعض